فصل في ذكر اليونان وحكمائهم

ويُونان بن يافث بن نوح عليه السلام.

وقال ابن الكلبي: يونان بن ثوبة بن سرحون، ونسبه إلى إسحاق عليه السلام.

وقال يعقوب بن إسحاق الكندي: يونان أخو قحطان من العرب من ولد عابر، خرج من اليمن فنزل ديار المغرب، فأقام بها واستعجم لسانُه، وتكلَّم بلغة مَن هناك من الروم والفرنج.

وقد ردَّ عليه أبو العباس عبدالله بن محمد الناشئ[١] فقال: [من الطويل]

أبا يوسُفٍ إني نظرتُ فلم أجد ... على الفَحص رأياً صحَّ منك ولا عَقْدا
وصرتَ حكيماً عند قوم إذا امرُؤٌ ... بَلاهُمْ جميعاً لم يجد عندهم عندا
أَتَخلِطُ قحطاناً بيونانَ ضلَّةً ... لَعَمري لقد باعدتَ بينهما جِدَّا

قال الناشئ[٢]: والأصحُّ أن يونان ابنُ يافث بن نوح عليه السلام، وليس من العرب ولا من الروم، وإنما جاوَر الرومَ على ساحل البحر الرومي.

وكان جسيماً وسيماً، حسنَ العقْلِ، كبيرَ الهمة، عظيمَ القَدْر، فأقام هناك حتى كَثُر ولده، فخرج يطلب مكاناً يسكُنُه، فانتهى إلى مدينة بالمغرب يقال لها: أقنينة[٣]، وهي مدينة الحكماء، وقيل: اسمُها مقدونية، فأقام بها وكَثُر نسلُه، وبنى بها قصُوراً وأبنية شاهقةً.

ولما احتُضِر أوصى إلى ولده الأكبر واسمه: حربوش[٤]، فقال: يا بني، إني قد وافيتُ الأجلَ المحتُوم، وإني مُفارقكم، وقد كانت أحوالكم حسنةَ النظام بي، وكنت لكم كهفاً في الشدائد، وعوناً على المحن، فعليكم بالجود فإنه قُطْب الملك، ومفتاح السِّياسة، وباب السِّيادة، وكن حريصاً على اقتناء الرجال، وإياك والحَيْد عن الطريقة

---

(١) في (ب): الرياشي، وفي (خ) و(ك): الرقاشي، والمثبت من مروج الذهب ٢/ ٢٤٤، وصبح الأعشى ١/ ٣٧١ و ٥/ ٣٧٩. وانظر ترجمته في السير ١٤/ ٤٠.

(٢) في (ب): الرياشي، وفي (خ) و (ك): الرقاشي، وانظر الحاشية السابقة.

(٣) في مروج الذهب ٢/ ٢٤٥: أفيتية.

(٤) في مروج الذهب: حربيوس.

المُثلى التي بُني عليها العقْل، فإن من ترك النظر في العواقب؛ تَورَّط في المهالك، ووقع في المغائص[١].

ثم مات، فاستولى ولدُه على بلاد المغرب من ناحية إفرنجة والنيوكرد[٢] والصقالبة ومَن جاورهم.

ولما ظهر بُختُ نَصَّرُ على مصر دخل المغرب، ووصل إلى بلاد اليونان، وقَرَّر عليهم أن يؤدُّوا الخراج إلى ملوك فارس، وفي الجملة بيض من ذهب[٣]. واستقر ذلك حتى مات فيلفوس أبو الإسكندر، فأزاله الإسكندر على ما ذكرنا.

وما زالت الملوكُ في اليونان إلى الإسكندر، فلما مات عَرَضوا الملكَ على ولده إسكندروس فأبى وتنسَّك، ولَحِق بالجبال وتعبَّد، فملكوا عليهم بطليموس الحكيم، وكان خليفةَ الإسكندر إذا غاب، وهو أولُ مَن لعب بالبُزاة والصُّقور والجوارح.

وكان المُلْكُ بالمغرب لليونان، والرئاسةُ بالقُدْس لبني إسرائيل، إلى أن وُلد يحيى ابن زكريا عليهما السلام، وجرى ما جرى.

وهذا اللقب ـ وهو بطليموس ـ لملك اليونان ككسرى وقيصر. فأقام بطليموس الأول مالكاً أربعين سنةً، ثم مات.

فصل

فملك بعده بطليموس الصائغ، وكان حاذقاً بمعرفة الصِّياغة حكيماً، فأقام ستاً وعشرين سنةً، ثم مات.

فصل

فملك بعده بطليموس محبُّ الأب، ويقال: إنه ملك الشام،وبنى مدينة فامية بين شيزر وأنطاكية، وأقام ملكاً سبع عشرة سنة.

فصل

ثم ولي بطليموس صاحب النجوم وكتاب «المِجِسطي»، وأظهر علوم الكواكب،

---

(١) في مروج الذهب ٢/ ٢٤٦: مقابض المتالف.

(٢) في مروج الذهب: والنوكبرد.

(٣) في مروج الذهب ٢/ ٢٤٧: وكان خراجهم بيضاً من ذهب.

وقَدَّر مطالعها وما يتعلَّقُ بها، وأقام أربعاً وعشرين سنةً يجمَعُ الحكماء والعلماء ويذاكرهم، ثم مات.

فصل

ثم ولي بطليموس، ويقال له: محبُّ الأمّ، فأقام خمساً وثلاثين سنةً، ومات.

فصل

وولي بطليموس المخلِّص، وكان صالحاً، فأقام سبع عشرة سنة، ثم مات.

فصل

فولي بطليموس الإسكندري عشرين سنةً، وقيل: عشر سنين، ثم مات[١].

فصل

فولي بطليموس الحديدي ثمان سنين، ثم مات.

فصل

فولي بطليموس الجَوَّال، وكان سائحاً منفرداً، فأقام ثماني سنين، ثم مات.

فصل

فولي بطليموس الخبيث، وكان فاجراً ظالماً خرج عن قانون اليونان، فأقام ثلاثين سنةً، ثم مات.

فصل

فملكت ابنتُه قلان طره، وقيل: بلو قطرا[٢]، وكانت عاقلةً فاضلة حكيمة، لها التصانيفُ في الحكميات والطبيات، وهي آخرملوك اليونان.

وكان لها زوج مُشارِك لها يُقال له: أنطونيوس، وكان له مصر والسواحل، ومصر داخلةٌ في مُلك اليونان.

---

(١) في مروج الذهب ٢/ ٢٨٥: ثم ملك بطليموس الإسكندراني اثنتا عشرة سنة.

(٢) في مروج الذهب ٢/ ٢٨٥: قلا بطرة.

وكانت قُلان طره تتردَّدُ من المغرب إلى مصر، وكانت الجزائر بأسرها داخلةً في ملك اليونان: صِقِلِّية وقبرس والأندلُس، وجميعُ ما على البحر الرومي من البلاد الرومية وأعمالها، فإنها كانت للروم. وأقامت قلان طره ملكةً عشرين سنة، وقيل: اثنتين وعشرين، ثم قتلت نَفْسَها لما نذكر.

وقال علماء السير: فجميع ملوك اليونان بعد الإسكندر عشرةٌ والمرأة، وقيل: ثلاثةَ عشر آخرهم المرأة. ومدة ملكهم مئتان ونيف وأربعون سنة، وقيل: مئتان وستون سنة، وقيل: ثلاث مئة وأربع سنين.

حديث المرأة مع ملك الروم

لما اشتهر اليونانُ بالحكمة والفضائل والمُلك، حَسَدهم ملوك الروم، وكان مُلْك الروم برُومِيَة، ولم تكن القسطنطينية بُنيت بعد، وما كانوا يتجاسرون أن ينالوا من أطراف اليونان شيئاً، فنبغ فيهم ملك جبار يقال له: انطوطس[1]، ويُسمى بقيصر، ويقال: إنه أول مَن تسمَّى به، وإليه تُنسَب القياصرة.

وبلغه أنَّ ملوك اليونان قد انقرضوا ولم يَبقَ منهم سوى امرأة، فجمع العساكر وسار إليها من رُومية، وهي وزوجها يومئذٍ بمصر، فخرج إليه زوجها فقتله قيصر. وكانت قُلان طره امرأة حازمة، فأرسل إليها يخطبها ويقول: ما قصدي إلا أن تصير المملكتين واحدة، وأن أقرب منك لفضلك وعقلك. وعَلمتْ أنه متى تمكن منها قتلها، فأجابته وقالت: تقيمُ في مكانك إلى يومٍ بعينه، فأقام.

فأفكرت في حيلة تحتالُ بها عليه، فرأت أن تُهلكَ نفسها وتُهلكَه معها، ولا يتمكَّن منها. فعَمَدت إلى حَيَّة تكونُ بالصَّعيد في الرَّمل، تَثِبُ في الهواء فتضربُ الإنسانَ، فما يجتمعُ، فجعلتها في إناء من زجاج، وزيَّنَت قصرها، وفرشت مجلسها بالرياحين، ولَبِست تاجها، وجلست على سريرها، واستدعت قيصر.

فلما دخل من باب القصر قَرَّبت يدها من الحية فضربتها، وانسابت في الرياحين، ووصل قيصر إلى السرير، ولم يشك أنها في عافيةٍ، فجلس إلى جانبها، فرآها ميتةً،

(١) في مروج الذهب، ٢/ ٢٨٦: أغسطس.

فعَجِب وفكَّر، وعبث ببعض الرياحين فضربته الحيةُ، فأيبست شِقَّه الأيمن، وأذهبت عينَه اليمنى وسمعَه الأيمن، ففهم وعلم أن قلان طره آثرت الموت في العزِّ على الحياة في الذل، ومات من ليلته. وانقضى مُلكُ اليونان، وزالت أيامُهم، ودَثَرت علومهم بموت قُلان طره.

وكانت لهم بيوتٌ للعبادات يُعظِّمونها، ومنهم من يَعبد الفَرقَدينِ، وبعضهم يعبد الأصنام. وكان لهم بيوت عبادات بالمغرب وبالأندلس وبمصر. ويقال: إن الهَرَمين كان عليهما بيتان، بيتٌ على جبل أنطاكِيَة أخربه قسطنطين، وبيت بالقدس.

وقال أبو معشر: كانت خزائنُ علومهم بقُبرس، فحُملت إلى المأمون فنقلها إلى العربية، فهي التي في أيدي الناس اليوم، من المنطقيات والعقليات والطب والنجوم والإلهيات والطبيعيات وغير ذلك، وملك الرومُ بلادهم.

فصل في ذكر حكمائهم

وفيهم كثرةٌ، فنذكر أعيانَهم، ويقال: إن أولهم سُقراط الحُب، وهو أستاذ الكل، وكان قد أقام في حُب مكسور سبعين سنة لم يخرج منه إلا لحاجةٍ.

جاءه بعضُ ملوك اليونان فسَلَّم عليه وهو على فرسه، وقال له: أيها الحكيم الفاضل ألك حاجةٌ؟ قال: نعم. قال: وما هي؟ قال: تنحي فرسَك وتنصرفُ عني، فقد كنتُ أَستَدفئ بحر الشمس فمنعتَني.

ومن كلامه: لا تخَفْ موت البدن، ولكن خَفْ موت النفس. فقيل له: ألستَ القائلَ بأن النَّفس الناطقة لا تموت؟ فقال: بلى، إذا انتقلت النفسُ الناطقة من حدِّ النطق إلى الحد البهيمي[1] بطل النطق؛ فالتحقت بالموت.

وقال له رجل قد أَسنَّ: إني أريد أن أَنظر في العلوم وأستحيي. فقال له: أتستحيي أن تكون في آخر عمرك خيراً من أوله؟

وقال: خساسةُ الرجل تُعرف بشيئين: بكلامه فيما لا يعنيه، وبجوابه فيما لم يُسأل عنه.

---

(١) في (خ) و (ك): البهمي.

ورأى رجلاً حسنَ الوجه سيئ الأدب، فقال: سلبت فضائلَ نفسك محاسنُ وجهك.

وتعرَّض له رجلٌ بكلام قبيح، فأعرض عنه، فقيل له في ذلك، فقال للقائل: لو رَمَحك حمارٌ أكنت ترمحه؟ أو نبح عليك كلبٌ أكنت تَنبح عليه؟ قال: لا. قال: فكذا السَّفيهُ ما يقابَلُ بأبلغَ من الإعراض عنه.

ومنهم بُقراط الأول، وقد اعترف بفضله الأوائل والأواخر، وهو واضع الطب. ولما بلغ بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف خبرُه، كتب إليه يستدعيه، وبعث له قناطير من الذهب فردَّها، وقال: لا حاجة لي في الدنيا، المال والحكمة لا يَجتمعان. ولم يخرج من بلده. وكان يعالجُ الفقراء، ولا يأخذ منهم شيئاً، ويُعينهم.

وقال: استهينوا بالموت، فإن مرارته في خوفه.

وقال: الأمنُ مع الفقر خيرٌ من الغنى مع الخوف.

وقال: يُداوى كلُّ مريضٍ بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة مُتطلِّعة إلى هوائها، ونازعةٌ إلى غذائها.

وقيل له: لمَ يتكرَّبُ الإنسان بشُرب الدواء؟ فقال: البيتُ أكثر ما يكون غُباراً إذا كُنِس.

وعشق بعض أولاد الملوك حظيَّة لأبيه، فنحل وسقم وخولط، فقال أبوه لبُقراط: انظُر ما به، فجسَّ نَبضه فلم يجد به مرضاً، فأخذ يذاكره بحديث العشق والعُشاق، فمال إليه وتهلَّل وجهُه، فسأل عنه: هل خرج من الدار؟ قالوا: لا. فقال لأبيه: اعرض عليه كل حظية في الدار. فأَخرج كلَّ امرأة في الدار فعرضَهنَّ عليه، وهو لا يلتفتُ، حتى أخرج الخادمُ تلك الحظية، فتغيَّر وجهُه، فترك بُقراط يده على نبضه وهو يضربُ، فقال للملك: هو عاشقٌ لمن لا سبيل له إلى الوصول إليها. قال: ومن هي؟ قال: حليلتي. قال: انزل عنها ولك أمثالُها. قال: فأين العدل؟ تأمرني بطلاق زوجتي؟! قال: إن أبيت فالسيف، ولا يموت ولدي. فقال: أرأيت لو كانت حظية الملك أينزل له عنها؟ ففهم الملك باطن الحال، فقال له: عقلك أتم، ومعرفتك أعم. ونزل عنها لولده، فبرئ.

وقيل لبقراط: لم يثقل الميت؟ قال: لأنهما كانا اثنين: خفيفٌ [رافع] وهو الرُّوح، وثقيل [واضع] وهو البدن، فلما انصرف الخفيف الرافع، بقي الثقيل الواضع.

وقال: علاجُ الجسد خمسة أضرب: ما في الرأس بالغرغرة، وما في المعدة بالقيء، وما في البدن بالإسهال، وما في أعماق البدن بالفَصْد، وما بين الجلدين بالعرق(١).

ويقال: البقارطة أربعة، وهذا هو الأول، وبينه وبين جالينوس ستُّ مئة وخمسون سنة، وكان جالينوس في زمن عيسى عليه السلام(٢).

ومنهم أفلاطن أستاذ أرسطاطاليس، وهو صاحب المنطق(٣)، وقد برز عليه أرسطاطاليس وأخذ عليه في مواضع.

ومن كلام أفلاطن: عقولُ الناس مدوَّنة في رؤوس أقلامهم، وظاهرةٌ في حُسن اختياراتهم.

وقال: الله تعالى بقَدْر ما يُعطي من الحكمة يمنَعُ من الرزق. قيل له: ولم؟ قال: لأن الحكمةَ حظُّ النَّفس الناطقة، والمال حظُّ النفس الشهوانية، والناطقة عاليةٌ على الشهوانية، فالمال والحكمة متغايران لا يجتمعان.

وقال أبو يعلى بن الهبَّارية: كان على خاتم أفلاطن: تحريكُ الساكن أسهل من تسكين المتحرك.

وقال أفلاطن: لا ينبغي لك أن تفعل شيئاً إذا عُيِّرتَ به غضبتَ، فإنك إذا فعلتَ ذلك، كنت أنت القاذفَ لنفسك.

ومنهم بطليموس صاحب «المِجِسطي»، المتكلم في هيئات الأفلاك وما يتعلق بالهندسة كلاماً طويلاً.

---

(١) الملل والنحل ٢/ ١٠٩ ـ ١١٠ وما بين معكوفين منه.

(٢) المنتظم ٢/ ٤.

(٣) في هامش (ك) حاشية: المنطق لأرسطاطاليس لا لأفلاطن، وإن كان المنطق موجوداً في كلام الحكماء، لكن أرسطاطاليس أخرجه من القوة إلى الفعل، وجعله فناً بذاته، وهذا ما لا ينكره أحد من العلماء.

وله كلام حسن، فمنه أنه قال: ما أحسنَ الإنسانَ أن يصبِر عما يشتهي، وأحسنُ منه أن لا يشتهي ما لا يَقدرُ عليه.

وقال: لأن يستغنيَ الإنسان عن المُلْك، خيرٌ من أن يستغنيَ به[١].

ومنهم صاحب إقليدس، وهو أولُ من تكلَّم في الرياضيات، وقال: الخطُّ هندسةٌ روحانية ظهرت بآلة جسمانية.

وقال: لما علم العاقلُ أنه لا ثقةَ له بشيء من أمور الدنيا، ألقى منها ما منه بُدٌّ، واقتصر على ما لا بُدَّ له منه[٢].

ومنهم جالينوس، وكان في زمن عيسى عليه السلام، ويقال: إنه قَصَد الاجتماع بعيسى عليه السلام، وسار إليه فمات في طريقه[٣]. قال ابن حوقل: مات جالينوس اليوناني بمدينة الفرما، وهي شاطئ بحيرة تِنِّيس من أرض مصر، وبها قبرُه[٤]. ومات ابن مئة وتسعة وثلاثين سنة[٥]، وإليه انتهى علمُ الطب.

ومن كلامه: عِلَّةُ الاختلاف الذي يعرض للإنسان إنما سببُه الدماغ؛ وذلك لأن أوعية الدماغ ثلاثة: مقدَّم الرأس وهو للحِسِّ والخيال، ومُؤخَّره للحركة والفكر والحفظ، ووسَطُه للعقل والفِطنة والذكاء، فمتى اعتدل الدماغ، اعتدلت الروح واعتدلت الأفعال، فإن مال الاعتدال إلى البرودة، كان الفعلُ أبطأ، وإن مال إلى الحرارة، كان الفعل أسرع.

ولما اشتد بجالينوس مرضُ الموت، قيل له: ألا تتداوى؟ فقال: إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وإذا نزل قَدَر الرب بطل حذرُ المربوب، ونعم الدواء الأجلُ، وبئس الداء الأملُ.

---

(١) الملل والنحل ٢/ ١١٦.

(٢) الملل والنحل ٢/ ١١٤ـ١١٥.

(٣) المنتظم ٢/ ٤.

(٤) صورة الأرض ص١٤٩.

(٥) في طبقات الأطباء والحكماء ص٤٢، وأخبار العلماء ص٨٩، والمنتظم ٢/ ٤ أنه عاش سبعاً وثمانين سنة أو ثمانياً وثمانين.

ومنهم حكيم احتُضر، فقال لولده وهو حاضرٌ عنده: يا بنيَّ، إنك وإن كنتَ وارثي وحدك، فليس لك جميعُ ما حَوتْه يدي، لأن عليَّ فيما أخلِّفُه ديوناً لإخوان من مكارمَ سبقت، لم يقبلوا مني مُجازاةً عليها؛ لاستغنائهم عنها، وقد كنتُ أُراعيهم خوفاً من تَحوُّل حال واحد منهم، فيحتاجُ إلى ما هو الآن غنيٌّ عنه، فيجدُ عندي مكافأته ذخيرةً له، وقد أثبتُّ أسماءَهم في دفترٍ، فإن لَحِقْتَ أحدَهم فأْتِه فاقضِ عني حقَّه كما يقضي الحُرُّ عارِفَةَ الحر. ثم استحلفه على ذلك وأَشهد عليه الحاضرين، ومات.

فإن قيل: فقد ذَكرتَ الفلسفةَ، فما معناها؟

فالجواب: أنها عندهم الإحاطة بمعرفة الحقائق والحكميات. والفيلسوف بالعربية معناه: محبُّ الحكمة. ويَدخُل فيها علمُ النجوم والطب والهندسة والحساب وتأليف الألحان، والهندسةُ دون الفلسفة لأنها تختصُّ بمعرفة مقادير الأرض، والأبنية، ومجاري المياه، وغَرْسِ الأشجار، وآلاتِ الصنائع وتركيبها.

فإن قيل: فما الذي يَعتمدُ عليه هؤلاء الحكماءُ من العقائد؟

فالجواب: أن لهم مذاهبَ، منها: أن الأرواح عندهم باقية، والفساد والكون إنما يَلحقان الجسدَ، ومكانُ الروح من الجسد مكانُ النار من الفَحْم، وأن الروح جسمٌ لطيف متداخل في هذا الجسد الكثيف، فالروح بلطافته يحرك الكثيف ويستعمله.

ومن مذاهبهم: أن العالم الأرضي متصل بالعالم السماوي، وأن الفَلَك يَتدوَّرُ بحركة مستديرة فتتحرك له الكواكب، فيحدُث بتحريكها في هذه الأجسام الاستحالات، فيقع الكون والفساد. قالوا: وفسادُ كلِّ شيء كونُ شيءٍ آخر، كالخشب الذي يحترقُ بالنار فيصير فحماً.

قال المصنف رحمه الله: والغالبُ على علومهم الحَدْس والتخمين لا التحقيق واليقين، فإن أسرارَ البارئ المخفيّاتِ، وأمورَه المغيَّبات، لا مجالَ فيها للظنون. وأقربُ علومهم إلى الصحة علمُ الهندسة، فإنها مبنية على الحساب، وقد ذكرتُ منها ها هنا جُملةً لا يُستغنى عنها.

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣] فأقول: الأعدادُ أربعةٌ: آحاد،

وعشرات، ومِئين، وألوف. فالآحادُ: تنتظم ما بينَ الواحدِ إلى التسعة، والعشرات: تنتظم ما بين العشرة إلى التسعين، والمِئين: تنتظم ما بين المئة إلى تسع مئة، والألوف: تنتظم ما بين الألف إلى تسعة آلاف، وما بعدَ ذلك تكرار.

فالآحاد في العشرات كلُّ واحدٍ عشرة، والعشرات في العشرات كلُّ واحد مئة، والعشرات في المئين كلُّ واحد ألف، والمئين في المئين كلُّ واحد عشرة آلاف، والمئين في الألوف كل واحد مئة ألف، والألوف في الألوف كلُّ واحد ألف ألف.

والحَبْل عشرة أبواب، والباب ستة أذرُع، والذراع تسع قَصَبات، والقصبة أربع أصابع، والحبل في الحبل جَرِيب، والحبلُ في الباب قَفِيز، والحبل في الذراع عَشير.

والدينار أربعة وعشرون قِيراطاً وأربعة عشر طَسُّوجاً وست دوانيق وثنتان وسبعون حَبّة، والقيراط ثلاث حبات وعشرة دراهم فضة وزن سبعة مثاقيل ذهب.

والرِّطْل ثنتا عشرة أُوقِيَّة، والأُوقية سبعة مثاقيلَ ونصف.

والفرسخ ثلاثة أميال، والميلُ اثنا عشر ألف قدم أو أربعة آلاف خُطوة بخطوة الجمل.

فصل في ذكر بني الأصفر

وسُمُّوا الروم، لأنهم من ولد روم بن العيص بن إسحاق عليه السلام، وقيل: لأنهم نُسِبوا إلى رُومِيَة، والأول أصحُّ، لأن رومية بُنِيت قبل ظهورهم بأربع مئة سنة، وكان يقال لها: رماس[1]، فلما سَلَبوها نُسبت إليهم.

وقال ابن الكَلْبي: وَلَدَ العيصُ بن إسحاق ثلاثين ولداً منهم الروم، وكان أصفرَ اللون، فقيل: بنو الأصفر.

وقيل: غارت عليهم الحبشةُ، فوُلِد لهم بنات أَخَذْنَ من بياض الروم وسواد الحبشة، فكنَّ صُفراً لُعْساً، فنُسِبوا إليهن.

وأولُ ملوكهم الذي قتلته الحية، وقيل: مَلَك قبله هالوس، وبعده قيصر.

(١) في مروج الذهب ٢/ ٢٩٣: روماس، وفي معجم البلدان ٣/ ١٠٠: رومانس.